

15
صص الحيوانات
ي القرآن الكريم
الطير الأبابيل
المؤسسة العربية الحديثة



نَحْنُ الطَّيْرُ الأَبَابِيلُ .. نَحْنُ جُنْدٌ مِنْ جُنُودِ اللهِ الْخَفِيَّةِ ..

نَحْنُ الَّذِينَ نَأْتَمِرُ بِأَمْرِ الْمَوْلَى - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - فَنَفْعَلُ مَا تَأْمُرُنَا مَشِيئَتُهُ بِهِ ، وَلاَ نَعْصِي لَهُ أَمْرًا ..

نَحْنُ جُنْدٌ مِنْ جُنُودِ اللهِ الْخَفِيَّةِ الَّتِي يُرْسِلُهَا بِالْعَذَابِ مِنْ جَهَنَّمَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ الْعُصَاةِ ..

أَرْسَلَنَا سُبْحَانَهُ مَرَّةً بِالْعَذَابِ وَالتَّدْمِيرِ عَلَى قَوْمِ لُوطٍ الْعُصَاةِ ، فَأَمْطَرْنَا بُيُوتَهُمْ وَقُرَاهُمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ جَهَنَّمَ فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ..

وَأَرْسَلَنَا سُبْحَانَهُ فِي مُهِمَّاتٍ كَثِيرَةٍ عَلَى الْعُصَاةِ الظَّالِمِينَ مِنْ عِبَادِهِ ، وَلَكِنْ لَيْسَ مِنْ حَقِّنَا نَحْنُ أَنْ نَتَكَلَّمَ عَنْ هَذِهِ الْمُهِمَّاتِ ، لأَنَّهُ سُبْحَانَهُ قَدْ أَخْفَاهَا لِحِكْمَةٍ عُلْيَا..

لَكِنَّنَا فَقَطْ سَنَتَحَدَّثُ عَنِ الْمُهِمَّةِ الَّتِي ذَكَرَهَا سُبْحَانَهُ فِي سُورَةِ الْفِيلِ ، وَهِيَ مُهِمَّةُ تَدْمِيرِ جَيْشِ أَبْرَهَةَ اللَّعِينِ ..

كَمَا تَعْلَمُونَ فَإِنَّ أَبْرَهَةَ قَدْ أَعَدَّ جَيْشًا جَرَّارًا ، وَسَارَ بِهِ قَاصِدًا مَكَّةَ لِهَدْمِ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ هُنَاكَ ، لِمَنْعِ الْعَرَبِ مِنَ الْحَجِّ إِلَيْهِ ، وَالْحَجِّ إِلَى بَيْتِ أَبْرَهَةَ فِي الْيَمَنِ ..



وكَمَا تَعلَمُونَ فَإِنَّ جَيشَ أَبرَهَةَ الجَرَّارَ هَذَا كَانَ جَيْشًا رَهِيبًا لَمْ تَشْهَدْهُ الجَزِيرَةُ العَرَبِيَّةُ مِنْ قَبلُ .. وكَانَ الجَيْشُ مُدَعَّمًا بالأَفْيَالِ القَوِيَّةِ ، الَّتى دُرِّبَتْ عَلَى دَكِّ الحُصُونِ وتَدْمِيرِ القُرَى والمُدُنِ والبُيُوتِ ..

وكَمَا تَعْلَمُونَ فَإِنَّ أَبرَهَةَ اللَّعِينَ كَانَ مَزْهُوًا بِجَيْشِهِ وقُوَّتِهِ ، وأَنَّهُ قَدْ أَفْهَمَ جُنُودَهُ أَنَّهُمْ ذَاهِبُونَ فِى نُزْهَةٍ قَصِيرَةٍ إِلَى رُبُوعِ مَكَّةَ يَهْدِمُونَ الكَعْبَةَ المُشَرَّفَةَ بَيْتَ اللهِ فِى الأَرْضِ ، وَيَعُودُونَ بَعْدَهَا إِلَى بِلادِهِمْ مُطْمَئِنِّينَ ..

لَمْ يَكُنْ أَبرَهَةُ اللَّعِينُ يَتَوَقَّعُ أَوْ يَخْطُرُ عَلَى بَالِهِ لَحْظَةً أَنَّ جَيْشَهُ يُمْكِنُ أَنْ يُهْزَمَ ، فَمَا بَالُكَ بِأَنْ يُدَمَّرَ الجَيْشُ تَدْمِيرًا .. كَانَ أَبرَهَةُ رَجُلاً ظَالِمًا لِنَفْسِهِ وَلِجَيْشِهِ ؛ لأَنَّهُ بِغَبَائِهِ قَادَهُمْ إِلَى الهَلاكِ ..



وكَانَ أهْلُ مكّةَ قوْمًا ضُعَفَاءَ إذا قُورِنُوا بِجَيْشِ أبْرَهَةَ الجرّار ..

وكَانُوا قوْمًا حُكَمَاءَ ؛ لأنّهُمْ رَفَضُوا أنْ يَتَصدّوْا لجَيْشِ أبْرَهَةَ ، فَهُمْ يَعْلَمُونَ أنّ مَنْ يَتَصدّى لِجَيْشِهِ فَمَصِيرُهُ هُوَ الْمَوْتُ وَالْهَلاكُ .. كَانُوا حُكَمَاءَ حِينَ قَالُوا لأبْرَهَةَ بأنّ للْكعْبَةِ رَبًا يَحْمِيهَا ، بِرَغْمِ أنّ أبْرَهَةَ اللّعِينَ قَدْ سَخِرَ مِنْهُمْ ، واسْتَصْغَرَهُمْ فِى عَيْنَيْهِ ..

ولَكِنّ اللّهَ ، رَبّ الْبَيْتِ لَمْ يُخَيّبْ رَجَاءَ أهْلِ مَكّةَ ، بَلِ اسْتَجَابَ دَعَوَاتِهِمْ بِأنْ يَحْمِىَ بَيْتَهُ مِنَ الطّاغِيَةِ وَجَيْشِهِ الْجَرّارِ ..

لَقَدْ دَخَلَ جَيْشُ أبْرَهَةَ مَكّةَ تَتَقَدّمُهُ الأفْيَالُ ، وعَلَى رَأسِهَا فِيلٌ كَبِيرٌ ، هُوَ الْفِيلُ الّذى كَانَ يَزْهُو بِهِ أبْرَهَةُ ، والّذى أعَدّهُ لِهَدْمِ الْكَعْبَةِ ..

وخَرَجَ أهْلُ مَكّةَ مِنْهَا .. أخْلَوْهَا تَمَامًا لِلطّاغِيَةِ وَجَيْشِهِ ، تَرَكُوهَا لِرَبّ الْبَيْتِ يَتَكَفّلُ بِحِمَايَتِهَا ..



وَتَقَدَّمَتِ الأَفْيَالُ حَتَّى أَصْبَحَتْ قَرِيبَةً مِنَ الْكَعْبَةِ ، لَكِنَّ الرُّعْبَ مَلأَ عُيُونَ الأَفْيَالِ فَجْأَةً ، وَرَفَضَ الْفِيلُ الْكَبِيرُ أَنْ يَتَقَدَّمَ خُطْوَةً مَهْمَا ضَرَبُوهُ أَوْ عَذَّبُوهُ.. رَأَى الْفِيلُ بِفِطْرَتِهِ أَنَّ مَا يَقُومُ بِهِ هُوَ عَمَلٌ لاَ يَجِبُ أَنْ يَقُومَ بِهِ .. وَتَرَاجَعَ الْفِيلُ الْكَبِيرُ فِى ذُعْرٍ ، وَخَلْفَهُ بَقِيَّةُ الأَفْيَالِ .. وَوَقَفَ أَبْرَهَةُ وَجُنُودُهُ حَائِرِينَ ..

وَهُنَا جَاءَ دَوْرُنَا نَحْنُ الطَّيْرَ الأَبَابِيلَ .. صَدَرَ الأَمْرُ الإِلَهِيُّ إِلَيْنَا بِتَدْمِيرِ أَبْرَهَةَ وَجَيْشِهِ فَقَطْ ، مِنْ دُونِ بَقِيَّةِ أَهْلِ مَكَّةَ الَّذِينَ وَقَفُوا بَعِيدًا يَرْقُبُونَ مَايَحْدُثُ .

حَمَلْنَا فِي مَنَاقِيرِنَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ .. حِجَارَةً أَشَدَّ فَتْكًا وَتَدْمِيرًا مِنْ أَقْوَى الْقَنَابِلِ النَّوَوِيَّةِ مَلَايِينَ الْمَرَّاتِ ، وَبَدَأْنَا نَقْذِفُ بِهَا أَبْرَهَةَ وَجَيْشَهُ مِنْ أَعْلَى .. مِنَ الْجَوِّ ..

لَمْ يَسْتَغْرِقِ الْأَمْرُ مِنَّا سِوَى لَحَظَاتٍ قَصِيرَةٍ ، حَتَّى أَبَدْنَا جَيْشَ أَبْرَهَةَ ، وَدَمَّرْنَاهُ عَنْ آخِرِهِ .. فِي لَحَظَاتٍ تَحَوَّلَ أَبْرَهَةُ وَجُنُودُهُ إِلَى عَصْفٍ مَأْكُولٍ .. إِلَى مَا يُشْبِهُ بَقَايَا طَعَامٍ تَمَّ أَكْلُهُ وَهَضْمُهُ وَإِخْرَاجُهُ ، ثُمَّ عَصَفَتْ بِهِ الرِّيَاحُ فَلَمْ تُبْقِ مِنْهُ شَيْئًا .. هَكَذَا عَصَفْنَا نَحْنُ بِجَيْشِ أَبْرَهَةَ ، وَكَنَسَتِ الرِّيَاحُ بَقَايَا أَجْسَادِهِمْ ، فَلَمْ تُبْقِ مِنْهَا شَيْئًا ..



وَقَدْ حَكَى الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ قِصَّةَ الطَّيْرِ الأَبَابِيلِ الَّتِي عَصَفَتْ بِجَيْشِ أَبْرَهَةَ فِي سُورَةِ الْفِيلِ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ
فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم
بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾